مقالة: مشروعية التسمي بـ(وصي الله)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد بلغني في هذه الأيام أن بعض الأفاضل قد نكت على الاسم "وصي الله"، وأنه ليس من الأسامي المباحة.

فأقول: إنه قد سماني به جدي، أحمد خان، وكانت له علاقة - بل، خدمة ومجالس - مع علماء أهل الحديث الكبار، مثل الشيخ الإمام ثناء الله الأَمْرِتْسَري أمير جماعة أهل الحديث، والشيخ العلامة المؤلف الكبير محمد جوناكدي، حينما كانوا يَرِدون في منطقتنا بالهند على مدرسة دار الهدى. وللجد اهتمامٌ كبير بمسائل العقيدة، ونقولٌ وحكايات ممتعة عن العلماء في مجالسه معهم.

ومن جملة الحكايات التي أذكرها: أن الشيخ ثناء الله والشيخ محمدًّا جوناكدي كانا يسافران إلى جهة ما في الهند، فكان الشيخ محمد راكبًا الفَرَسَ أو العربة التي تجرُّها الخيول، وكان الشيخ ثناء الله راكبًا الفيل، فقال الشيخ ثناء الله مخاطبًا الشيخ محمدًّا: "ورفعنا لك ذِكْرك"، فرد عليه الشيخ محمد: "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟".

كما أنه قد مررتُ ومرّ هذا الاسمُ على علماء كبار من الذين درستُ عليهم وجالستُهم، أمثال المشايخ عبيد الله الرحماني المبارَكْ فُورِي صاحب "مرعاة المفاتيح"، ونذير أحمد الأَمْلَوي الرحماني، وأحمد الله الرحماني، ومحمد إدريس الرحماني، ومحمد عابد الرحماني، وعبد القيوم الرحماني المعروف بمفسر القرآن، وغيرهم ممن درست عليهم في الهند، ولم يستنكر أحد منهم هذا الاسم.

ولما قدّر الله لي الوصول إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سنة ١٣٨٦هـ، مع ثلاثةِ نَفَرٍ آخرين، فبعد الوصول بيومٍ تشرّفنا مع العلامة الشيخ عبد الغفار حسن - رحمه الله - بزيارة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز - رحمة الله عليه - في مكتبه في الجامعة، وهو آنذاك نائب رئيسها، وكان

الرئيسُ مفتيَ المملكةِ الشيخَ محمد بن إبراهيم. فسألَنا الشيخُ عبد العزيز عن أسمائنا أيها الأربعة، فلما جاء اسمي، قال: غيِّر اسمَك. فاعتذرت له، وقلت: الجواز وجميع أوراقي بهذا الاسم، قد يصعب تغييره، ولكن أُغيِّره إن شاء الله.

ولعل غرابة هذا الاسم جعل الشيخ عبد العزيز – وهو جبل الحفظ والضبط – يحفظ اسمي، وكلما لقيته وسلمت عليه كان يعرفني بسهولة، وكان يسألني: كيف الإخوان والمشايخ في الجامعة السلفية في بنارس؟ ولكن قد أمرني الشيخ الكريم عدة مرات بتغيير هذا الاسم.

ولما ورد العلامة الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهِلاليُّ المراكشي المغربي – رحمة الله عليه – حاجًّا وسمعنا به فهَرَعْنَا إليه في بيت الشيخ أبي بكر الجزائري – حفظه الله – الذي استضاف الشيخَ في المدينة. فاستقبلنا الشيخ الهلالي استقبالًا كريمًا، وقال: يا أهل الحديث في الهند أنتم نِشْدَتُنَا.

وليكن في علم الإخوة أن الشيخ محمدًا تقي الدين الهلاليَّ قد عاش عدة سنوات في الهند لطلب السنّة والحديث، بعدما كان تيجانيًّا صوفيًّا، ورأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام، فأمره النبيُّ صلى الله عليه وسلم بطلب الحديث، فوصل على جناح السرعة لطلبه إلى مصرَ، فأشار عليه الشيخ سيد رشيد رضا أن بُغْيَتَك في الهند عند علماء أهل الحديث. وذلك قبل أن نُولَدَ. ووجد الشيخ في تلك الأيام في الهند علماء جبال العلم والعمل، وجالَسَهم ودَرَسَ أشياءَ على الإمام عبد الرحمن المبارَكْ فُورِي صاحب "تحفة الأحوذي"، وأخذ منه إجازة الحديث، وكان يُظهِر الشيخُ اغتباطه بتتلمُذه على الشيخ عبد الرحمن المباركْ فُورِي وبالإجازة منه. وبهذه المناسبات قد أحبَّنا وأحببناه، واستعرض في لقائنا ذلك ذكرياتٍ. وكأني أراه قد اغرَوْرَقت عَيْنَاهُ عند ذكره لعلماء أهل الحديث في الهند. وسيأتي المقصود من ذكر هذا الشيخ الجليل ههنا، فلا تَعْجَلْ.

وكان الشيخ يثني ثناءً بالغًا على أهل الحديث وتمسُّكهم بالسنة، حتى إنه في بعض مجالسه العامة ذكر قيامه بالعراق، ودَعْوَتَهُ إلى السنّة في بعض المناطق. وكان خطيبًا في مسجدٍ هناك بالموصل، فقال: كانت هناك بِدَعٌ وعقائدُ باطلةٌ منتشرة بين الناس، فجعل الله بدعوتي منطقة سَلَفية

حتى صار المسجد كمساجد الصحابة أو كمساجد أهل الحديث في الهند.

وبعد الحج زار الشيخ الهِلاليُّ الشيخَ عبد العزيز بن باز - رحمة الله عليهما - وكان يُجِلُّ كلُّ واحد منهما الآخَرَ غاية الإجلال، وطلب من الشيخ الهلالي مجيئه أستاذًا في الجامعة، فوافق الشيخ وجاء في العام القادم أستاذًا في الجامعة، فحرصتُ على زيارة الشيخ - وخاصة بعد العصر - والاستفادة منه، فكنت أذهب أولًا في أكثر أيام الأسبوع إلى بيت الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، فوزَّعتُ الأيام بعد مجيء الشيخ الهلالي بينه وبين الشيخ حماد - رحمة الله عليهما - فكنت أقرأ على الشيخ الهلالي أشياءَ، وأكتب له رسائله وأجوبته على الاستفتاء الوارد من المغرب والعراق خاصة، وأيضًا من قرية الريرمون بمصر، وكان يملي عليَّ مقالاتِه في مجلة "دعوة الحق" المغربية، ومجلة "الوعي الإسلامي" بالكويت، والحمد لله قد استفدت منه كثيرًا.

وفي هذه الأثناء زار الشيخ الهلاليُّ الشيخَ الإمام عبد العزيز بن باز، وأنا معه، فلما سلمتُ على الشيخ الإمام عَرَفَني بصوتي دون أن أُعرِّف بنفسي. فقال الشيخ الهلالي: هذا "وصي الله" من أبناء أهل الحديث في الهند. فقال الشيخ عبد العزيز وهو يبتَسِم: ما رأيكم يا شيخُ في هذا الاسم؟ فأجاب الشيخُ الهلاليُّ: لا بأس بهذا الاسم، بل كلنا أوصياء الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. فضحك الشيخ عبد العزيز ولم يقل شيئًا، وأنا لا أنسى أني كنت ألقاه بعد ذلك فلم ينكر عليّ هذا الاسم.

فإذن ليس في اسم "وصي الله" أيُّ حرجٍ شرعًا وسُنَّةً إن شاء الله. ولعل الغرابة عند من يستنكره ويستشكله أن الوصية تأتي بمعنى الوصية من الميت، إلا أن هذا اللفظ مشتَرَك لفظيٌّ بين عدة معانٍ:

قال في لسان العرب: ((أَوْصى الرجلَ ووَصَّاه عَهِدَ إِليه. قال رؤبة: وَصَّانِيَ العجاجُ فيما وَصَّني، أراد فيما وَصَّاني فحذف اللام للقافية. وأَوْصَيْتُ له بشيءٍ وأَوْصَيْتُ إِليه، إِذا جعلتَه وَصِيَّكَ. وأَوْصَيْتُه ووَصَّيْته إِيصاءً وتَوْصِيةً بمعنىً. وتَواصي القومُ، أَي: أَوْصى بعضهم بعضًا. وفي

الحديث: "اسْتَوْصُوا بالنساءِ خيرًا فإِنَّهن عندكم عَوانٍ". والاسم الوَصاةُ والوَصايةُ والوِصايةُ. والوصِيَّةُ أَيضًا ما أَوْصَيْتَ به. والوَصِيُّ الذي يُوصي والذي يُوصى له، وهو من الأَضداد. ابن سِيده: الوَصِيُّ المُوصي والمُوصى، والأُنثى وَصِيٌّ وجمعُهما جميعًا أَوْصِياء...والوَصِيَّةُ ما أَوْصَيْتَ به، وسُمّيتْ وَصِيَّةً لاتصالها بأَمر الميت...وقوله عز وجل: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ [النساء: ١١] معناه يَفْرِضُ عليكم، لأَن الوَصِيَّةَ من الله إِنما هي فَرْض، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥١] وهذا من الفرض المحكم علينا. قال الأصمعي: وَصَى الشيءُ يَصي إِذا اتصل، ووَصَاه غيرُه يَصِيه: وَصَلَه)). انتهى المقصود **منه.** [لسان العرب ١٥ : ٣٩٤-٣٩٥].

وقال ابن كثير رحمه الله: ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [الأنعام: ١٥١]، أي: وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانًا، أي: أن تحسنوا إليهم. [تفسير ابن كثير ٢ : ٢٥٨]. وقال: ﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، يقول تعالى: هذا أوصاكم به وأمركم به. [تفسير ابن كثير ٢:٢٦١]. وقال: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا ﴾ [العنكبوت: ٨]، يقول تعالى آمرًا عباده بالإحسان إلى الوالدين. [تفسير ابن كثير ٣ : ٥٥٠].

وبذلك نستدل على أن الوصية تأتي بمعنى العهد والأمر من الناس عامة، وهي بمعنى العهد والأمر والفرض من الحي الذي لا يموت.

والوصِيّ بمعنى الموصّى والمأمور، ووصي الله بمعنى المأمور من الله بشرعه. فكل عبدٍ من عباد الله وصي الله، كما أن كلهم عبيد لله ويسمى الآحاد والأفراد عبد الله.

وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ورحم الله جميع مشايخنا ووالدينا وجميع من ذكر في هذه الكلمة، آمين.

كتبه: وصي الله بن محمد عباس

الجمعة ٢٨ من جمادى الأولى ١٤٣٣هـ